

**بيان أثر الإعجاز البياني للمناسبة في
توجيه المعنى في الفاصلة القرآنية
من خلال سورة (غافر)**

**The Effect of Rhetorical Miracle of the Occasion on the Meaning
Orientation of Ayas' Endings: A Case of Surat Ghafer**

إعداد

د. أحلام مصباح أبو شعبان

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

المُلخَص

تظهر أهمية هذا البحث من خلال بيان أثر الإعجاز البياني للمناسبة في توجيه المعنى في الفاصلة القرآنية من خلال سورة (غافر) حيث إنها تعتبر نموذجاً رائعاً في ذلك فهي مليئة بالأمثلة الكثيرة الرائعة التي لا يتسع المقام لدراستها جميعاً؛ نظراً لمحدودية صفحات البحث، وقد بينت في هذا البحث معنى الفاصلة لغة واصطلاحاً، وذكرت أقسامها من حيث ارتباطها بمضمون الآية، كما بينت أثر المناسبة في الآية الواحدة في سورة (غافر)، وتناولت فيها الفاصلة ودورها في الحفاظ على تماسك الآية القرآنية وعلاقتها في تحديد مقاطع السورة، وبينت علاقة هذه الفاصلة بالسياق الذي وردت فيه، من حيث تناسب المطع والمقطع للفاصلة، وأشرت إلى ما قد يُشكل من الفواصل فهو مثار تساؤل، لِمَ خُتمت هذه الآية بكذا؟ ولِمَ لم تُختم بكذا؟ وتتبع طريقة العلماء في تدبر هذا النوع، محاولة قراءة ما بين السطور بقصد الوصول إلى مكامن النص، لمعرفة الجواب عن الإشكال، كما أشرت إلى توجيه المعنى في الفاصلة والمحدث عنه واحد، وبينت مناسبة الفاصلة لمقاطع الكلام المتشابه في السياقات المختلفة، من خلال اختلاف فاصلة الآية في السورة الواحدة، واختلاف فواصل الآي بين السور، ومعرفة العلاقة بين هذه الفواصل مع السياق الذي جاءت فيه، وسبب وجودها.

Abstract

In this study, the researcher points out the effect of Rhetorical miracle occasion on the meaning orientation of Ayas' endings through surat Ghafer as it is considered as a good sample to study because of the too many examples that can't be counted in such a limited research. First, the researcher explains the meaning of Ayas' endings linguistically and idiomatically and mentions their types as they are related to the meaning of the last verse. Then the researcher points out the effect of the occasion in the one verse in surat Ghafer and focuses on its ending and its role in the cohesion of the Quraanic verse and its relationship in finding up the linguistic utterance of the surah. After that, the researcher clarifies the relationships between this ending and its context concerning its appropriateness to the beginning and to the linguistic utterance. Then the researcher refers to those endings that might be questioned, answering the question "why does this surah ends like this, but not like that?" To explain this, the researcher follows the scholars' approach in dealing with such a question, trying to read between the lines in order to reach the covert meaning of the text. Finally, the researcher refers to the meanin orientation of endings and points out the appropriateness of the ending to the parts of similar utterances in different contexts through the different verse ending in the same surah and the different verse endings among surahs in order to know the relations between these endings and their contexts and the reason for their presence.

مقدمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على معلم الخير للبشرية محمد ﷺ، الذي أنزل عليه القرآن عربياً غير ذي عوج، فهو كتاب إعجازٍ وهداية، معينه لا ينضب، وكنوزه لا تفتى وإعجازه يبهر العقول في كل زمانٍ ومكان، وبعد:

لمّا كان اشتغالي في مرحلة الدكتوراه بدراسة المناسبات دراسة تطبيقية على سور الحواميم، وكان التركيز فيها على دراسة المناسبة بين الآيات وبيان علاقة ارتباطها ببعض، والمناسبة بين السور وبيان علاقة بعضها ببعض، لفتت انتباهي الفاصلة القرآنية، ففكرت أن أقوم بهذه الدراسة من خلال سور الحواميم جميعها وما أن بدأت في الكتابة حتى بدا لي أن ذلك يحتاج إلى رسالة دكتوراه كاملة، فقررت أن أكتب في أول سورة من سور الحواميم فقط وهي سورة (غافر) ومع ذلك فقد شعرت أنني في احتياج أكثر من بحث لدراسة جميع فواصل تلك السورة، ولكنني اقتطعت من تلك الفواصل ما يكفي لعمل هذا البحث، فكانت هذه الدراسة المتواضعة في بيان أثر إعجاز المناسبة في توجيه المعنى في الفاصلة القرآنية من خلال سورة (غافر)، راجية من الله ﷻ العون.

خطة البحث:

- يتكون هذا البحث من تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.
- التمهيد: تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً، وبيان أقسام الفاصلة.
- المبحث الأول: توجيه المعنى في العدول عن الأصل في الفاصلة.
- المبحث الثاني: توجيه المعنى في مشكلات الفواصل.
- المبحث الثالث: توجيه المعنى عند اختلاف الفواصل والمحدث عنه واحد.
- وأخيراً: فهرست المصادر والمراجع.

التمهيد

تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً:

الفاصلة لغة: الفاصلة من الفعل فصل والفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإيانتته عنه، والفاصل الحاجز بين الشيئين إشعاراً بانتهاء ما قبله، وتأتي بمعنى القطع.^(١)

الفاصلة اصطلاحاً: عرفها الرماني^(٢): "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغتها".^(٣)

وعرفها الزركشي^(٤): "بأنها كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع".^(٥) وسميت فاصلة لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، ولأنها ينفصل عندها كلامان؛ آخر الآية التي ذكرت فيها، وأول الآية التي تليها.^(٦)

(١) انظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي، مراجعة: د. عبد اللطيف محمد الخطيب (التراث العربي، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، (١٧٣/٣٠)، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ)، (٥٢١/١١)، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث مجمع اللغة العربية (ط٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، (٩١٦/٢).

(٢) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ)، انظر ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١٨٠/٢-١٨١).

(٣) علي بن عيسى الرماني أبو الحسن، النكت في إعجاز القرآن، وهو رسالة من ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، د. محمد زغول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م)، (ص ٩٧).

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ/١٣٩٢م)، انظر ترجمته: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة (٣/٣٩٧)، ابن تغري، النجوم الزاهرة (١٢/١٣٤)، السيوطي، حسن المحاضرة (٤٣٧/١).

(٥) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، الزركشي، أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م)، (٥٤/١).

(٦) انظر: المرجع السابق (١/٥٣)، وتبعه في ذلك الحافظ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، (٩٤٠/٢).

وقد فرق أبو عمرو الداني^(٧) بين الفواصل ورؤوس الآي بقوله: "أما الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل مما بعده، والكلام التام قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يكن رؤوس أي وغيرها فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضريين".^(٨)

قال الزركشي: "اعلم أنّ من المواضيع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء بما يشاكله، فلا بدّ أن تكون المناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يُستخرج بالتأمل للبيب".^(٩) وللفاصلة القرآنية ميزة عظيمة فهي تسهم في جلاء الإعجاز القرآني، وذلك لتنوع استعمالها، وقد تنوعت كتب البلاغة والإعجاز القرآني في إيضاح تفصيل علاقات الفاصلة بالآية وبالمقطع وبالسورة.^(١٠) فكلها جاءت في القرآن فيها البلاغة والحكمة كما وصفها الرماني: "أنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها".^(١١)

أقسام الفاصلة:

تنقسم الفاصلة من حيث ارتباطها بمضمون الآية إلى أربعة أقسام، هي: التمكين، والتوشيح، والإيغال، والتصدير. وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة.

(١) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي (ت ٤٤٤هـ)، انظر ترجمته في الذهبي، تذكرة الحفاظ (٢١١/٣)، الذهبي، المقتنى في سرد الكنى (٤٣٦/١)، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب (٢٧٢/٣).

(٢) أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، البيان في عد أي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط ١٤٤١هـ، ١٩٩٤م)، (ص ١٢٦).

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٧٨/١).

(٤) للاستزادة انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، النوع الثالث معرفة الفواصل ورؤوس الآي (٨٣-٥٣/١)، السيوطي، الإقتان - النوع التاسع والخمسون (٩٤٠-٩٦٦)، محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، (دار الأصيل، حلب، ١٩٧٧م)، (ص ٣٣٥-٣٤٦)، د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني (دار عمار، عمان، ط ٦، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، (ص ١٧-٣٦٣٧-٤٩)، أ. د. نور الدين عتر، أثر المناسبات في كشف إعجاز القرآن الكريم، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد الثالث عشر، ١٩٩٦م)، (ص ٩٢).

(٥) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص ٩٨).

الفرق بين أقسام الفاصلة:

١- فالتمكين:

ويسمى اتئلاف القافية في الشعر والنثر، وذلك بأن تأتي القافية متمكنة في مكانها، ومستقرة ومطمئنة في موضعها، ومتعلقة معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً غير مستجلبة ولا مستدعاة، بحيث لو سكنت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وأكثر فواصل القرآن على هذه الصورة.^(٣)

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، وصف الله ﷻ في هذا الموضوع هنا بأنه سريع الحساب مناسب لوجود أسباب لهذه السرعة فهو -سبحانه وتعالى- لا يحتاج إلى اكتشاف أشياء جديدة تبطئ من سرعة الحساب؛ وذلك لإحاطة علمه بكل شيء ولكمال قدرته.

يقول صاحب (التحرير والتنوير): "سُرْعَةُ الْحِسَابِ تَقْتَضِي سُرْعَةَ الْحُكْمِ. وَسُرْعَةُ الْحُكْمِ تَقْتَضِي تَمَلُّوَ الْحَاكِمِ مِنَ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ، وَمِنْ تَقْدِيرِ جِزَاءِ كُلِّ عَامِلٍ عَلَى عَمَلِهِ دُونَ تَرَدُّدٍ وَلَا بَحْثٍ لِأَنَّ الْحَاكِمَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، فَكَانَ قَوْلُهُ: سَرِيعُ الْحِسَابِ عِلَّةً لِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْغَرَضِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ ﷻ مَحَاسِنُهُمْ حِسَابًا سَرِيعًا لِأَنَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ."^(٤)

٢- وأما التوشيح:

وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية، أي أن المعنى يشير إلى الفاصلة قبل قراءتها، والفرق بين التوشيح والتمكين أن التوشيح لا بد أن تتقدم القافية معنى يدل عليها، أما التمكين فلا، ولا تكون كلمة التوشيح إلا في أول الصدر، وإن لم تكن كذلك فلا توشيح والله أعلم.^(١)

(١) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٧٨/١)، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي، خزنة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م) (٤٤٦/٢)، السيوطي، الإتيان (٩٥٢/٢).

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بتفسير التحرير والتنوير (دار سحنون للنشر، تونس، ١٩٩٧م)، (١١٢/٩).

(٣) ابن أبي الأصبغ، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر (ص ٣٩).

وأما الفرق بينه وبين التصدير أنّ التصدير دلالاته لفظية والتوشيح دلالاته معنوية، كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس:٣٧]، فإنه من كان حافظاً لهذه السورة، متفطناً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة، وسمع في صدر هذه الآية (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) علم أن الفاصلة (مظلومون)، فإذا زال نور النهار عن الأفق وانسلخ عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال.^(٢)

كذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩]، الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ عطفٌ وتفرّيعٌ على ﴿يُحْشَرُ﴾ لِأَنَّ الْحَشْرَ يَقْتَضِي الْوَزْعَ إِذْ هُوَ مِنْ لَوَازِمِهِ عُرْفًا، إِذِ الْحَشْرُ يَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ عَدَدِ الْمَحْشُورِينَ، وَكَثْرَةُ الْعَدَدِ تَسْتَلْزِمُ الْإِخْتِلَاطَ وَتَدْخُلُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَلَا غَنَى لَهُمْ عَنِ الْوَزْعِ لِتَصْغِيرِهِمْ وَرَدَّ بَعْضُهُمْ عَنِ بَعْضٍ... وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ كَثْرَةِ الْمَحْشُورِينَ.^(٣)

٣- الإيغال^(٤):

وهو الإمعان: وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، ويُقال للمتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه عن الحد أنه أوغل. فهي تفيده معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام

(١) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٩٥/١)، وانظر البقاعي، نظم الدرر (٢٦٢/٦)، ابن عاشور، التحرير والتتوير (مج٩ج١٨/٢٣).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتتوير (مج٩ج٢٤/٢٦٥).

(٣) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٩٦/١)، ابن حجة الحموي، خزنة الأدب (٢٧/٢)، السيوطي، الإيقان نقلاً عن أبي الأصبغ (٩٥٢/٢).

ويسمى إيغالاً، لأن المتكلم أو الشاعر أوغل في الفكر حتى استخرج سجة أو قافية تفيده معنى زائداً على معنى الكلام، وأصله من السير وهو السرعة، وأعظم ما وقع في هذا الباب قول الخنساء: وإن صخرًا لتأتم الهداة به.... كأنه علم في رأسه نار، وهذا البيت لو أفرده بالتمثيل لأغنى في باب ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت من بابي التوشيح والإيغال، لأن صدره يدل على عجزه دلالة التوشيح، ومعنى جملة البيت كامل دون قافيته، وفيه بوجودها زيادة لم تكن لها قبلها، فإن هذه المرأة لم ترض لأخيها أن تأتم به عليه الناس، حتى جعلته علمًا يأتم به أئمة الناس، وهذا تتميم أمدح في صدر لفظ التوشيح، ولم ترض تشبيهه بالعلم، وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارًا، فقد أوغلت إيغالاً شديدًا بقولها: في رأسه نار. انظر [ابن أبي الأصبغ، تحرير التخبير (ص٤٨)، أبو العباس ثعلب، شرح ديوان الخنساء، (ص١١)، الأصفهاني، الأغاني ٣٨٣/٩،

كقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٦]، فقوله: (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) إيغال؛ لأنه يتم المعنى بدونها، فالساعة تأتيتهم حال كونها مباغطة لهم ومفاجئة، لكن فيه زيادة مبالغة في حال غفلتهم وعدم شعورهم بمجيئها، فأنت الفاصلة تفيد معنى زائداً على معنى الكلام، وجاء في الكلام إيغال. (١) وجاءت جملة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) التي هي في موضع الحال من ضمير النصب في (تَأْتِيَهُمْ) مؤكدة للجملة التي قبلها كذلك. (٢)

٤- وأما التصدير:

فهو أن تتقدم لفظة الفاصلة في أول الآية، بمعنى توافق صدر الآية والفاصلة في اللفظ، وتسمى أيضاً رد العجز على الصدر. (٣) كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [غافر: ١٠]. فقد ورد في صدر الآية قوله تعالى: (الذين كفروا)، وختمت الآية بقوله تعالى: (فتكفرون) فتوافقت الفاصلة مع صدر الآية.

من خلال ما سبق يتضح مدى انسجام الفاصلة القرآنية مع ألفاظ ومعاني الآية دون تكلف أو استجلاب، وتظهر لنا بلاغة وإعجاز بيان القرآن الكريم، فصدق الله ﷻ القائل: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد جاءت الفواصل القرآنية متألفة تمام التألف مع آياتها، مؤدية دورها في إتمام المعنى وإيصاله على نحو بديع معجز، حتى لو تكلف متكلف أن يستبدل الفاصلة بغيرها ما استطاع وما وجد غيرها يؤدي المعنى والإيقاع معاً، فالفاصلة إذن إحدى صور الإعجاز في بيان القرآن الخالد.

(١) انظر: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مركز البحوث والدراسات (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، (١٣٩/٧).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ١٠ ج ٢٦/٢٥١).

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٧٨/١).

المبحث الأول

توجيه المعنى في العدول عن الأصل في الفاصلة

يرى كثير من العلماء^(٤) أنّ الفواصل من أوجه بلاغة القرآن الكريم، وأنها لا يُمكن أن تُوصف بالسجع؛ لأنه يدل على خضوع المعنى للألفاظ وهذا لا يليق بكلام الله ﷻ، وقد تكلم بهذا المعنى الرماني (ت ٣٨٦هـ)؛ حيث قال: "الفواصل بلاغة والأسجاع عيب؛ وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها"^(٥)، ووصف فواصل القرآن بأنها بلاغة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليه.

ولكن ابن سنان^(٦) لم ير في التفريق بين الفواصل والسجع، ولم يعتبر السجع عيباً والفواصل بلاغة، بل اعتبر أن فواصل القرآن على ضربين ضرب يكون سجعاً وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع وضرب لا يكون سجعاً وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل وكلاهما تابع للمعاني.^(١)

كذلك أبو هلال العسكري^(٢) كان يرى أن السجع والازدواج في الفواصل كثير في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَمِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩] وغيره في كثير من الآيات، وكان يرى أن السجع إذا سلم من التكلف وبرئ من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه.^(٣)

(١) كالرماني وتبعه الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن ص ٥٧،

(٢) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ص ٩٧).

(٣) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الحلبي الخفاجي، وتوفي بقلعة عزاز مسموماً سنة ست وستين وأربعمائة، انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات (١٩١/٥).

(٤) انظر: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، أبو محمد، سر الفصاحة (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، (ص ١٧٢).

(٥) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال، توفي عام (٥٣٩٥هـ)، انظر ترجمته: القفطي، في إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨٩/٤)، السيوطي، بغية الوعاة (٥٠٦/١).

(٦) انظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، (ص ٢٦١). كذلك تناول هذا الموضوع - وجود السجع في القرآن - بإسهاب ابن الأثير في كتابه المثل السائر (ص ٢٣٣).

مما سبق يتبين أن الفاصلة من الناحية البلاغية أقرب إلى مفهوم القافية في الشعر والسجع في النثر من جهة تشابه الحروف أو تقاربها في المخرج، ولكنها تختلف عنهما من جهة المقصد والمرجعية.

أولاً: دراسة صوتية لفواصل سورة (غافر):

استعمل القرآن في الفواصل حروفاً ذات وقع نغمي ووضوح سمعي لتظهر للسمع حين الوقف عليها، والوقف على أواخر الآيات من سنن القراءة كما هو معلوم. ما روي عن أم سلمة حينما سئلت عن قراءة النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته، يقول: (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف، (الرحمن الرحيم) ثم يقف، وكان يقرأ (ملك يوم الدين).^(٤)

ومن خلال تتبعي لفواصل سورة (غافر) وجدت أن فواصلها انتهت بالحروف المتماثلة، والحروف المتجانسة كـ (ب، م)، والحروف المتقاربة كـ (ن، ر، د، ل)، (ع، ق) وهذا إحصاء بالحروف المستعملة في فواصل سورة غافر:

ن	ب	ر	د	م	ل	ق	ع
٣٢	١٧	١٥	١٠	٥	٣	٢	١

بعض النتائج المستخلصة من الإحصاء:

١- نلاحظ أن حرف النون يفوز بأكبر نصيب في فواصل سورة غافر، ولا يخفى ما في هذا الحرف من الغنة الجميلة في السمع، فهو من أهم حروف الترتم في العربية، ويحق لنا بعد ذلك أن نقول إن عنصر الإيقاع والتنغيم يقصد إليه في القرآن قصداً، وليس مجرد محسنات زخرفية.

٢- جاء حرف الباء تالياً للنون، يليه الراء والذال، ثم حرفا الميم واللام، وكل هذه الحروف تنطق من الجزء الأمامي لجهاز النطق، وهذا كله له علاقة بسهولة النطق والوضوح السمعي، أي وصول صوت الحرف واضحاً إلى السمع، فليست كل الأصوات الإنسانية على السواء في نسبة الوضوح السمعي، فبعضها أوضح من بعض.^(١) في حين أن حرف القاف، وحرف العين أقل استعمالاً من الحروف

(١) رواه الترمذي في الجامع الصحيح (١٨٥/٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة (مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، (ص ١٠١).

الشفوية والأسنانية؛ وذلك لبعد مخرجيهما فهما يخرجان من الحنجرة والحلق.^(٢) كذلك نجد حرص القرآن على الإيقاع اللفظي وتناسق الفواصل في سورة غافر بحذف حرف الياء في الفاصلة في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]، وأصلها عقابي، وحذفت ياء المتكلم من (عقاب) تخفيفاً مع دلالة الكسرة عليها.^(٣) وناسب التخفيف سرعة الأخذ من الله -تعالى- لهؤلاء الأمم السابقة التي كذبت رسلهم وجادلتهم بالباطل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١]، أصلها واقِي، ولكن حذف الياء يساويها صوتياً بما سبقها وتلاها من الفواصل، كذلك تخفيف الياء تتاغمت مع سرعة أخذ الله لمكذبي رسلهم بسبب ذنوبهم، وهذا في حقيقة الأمر موجه لكفار قريش وتحذيرهم من أن يحل بهم العذاب السريع كما حلّ بالأمم السابقة أمثالهم. وقد يقع شيء مكان شيء في الفاصلة، وقد يقدم لفظ أو يؤخر حرصاً على إيقاع الألفاظ الذي جُبِلَ الناس على حبه، إلى جانب حرصه على الدلالة أيضاً.

كذلك للفاصلة دور جمالي في تصوير لوحات جمالية ناطقة معبرة، بحيث تكون كل لوحة عبارة عن مقطع مكون من مجموعة آيات متتابعات في موضوع واحد، وهي لوحة تتسم بالحياة والخلود، ولعل هذا ما قصده الرّماني: "وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة؛ لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة".^(٤)

وبعد تدبري لآيات سورة غافر وجدت أن الفاصلة عنصر أساسي من عناصر التصوير باللوحة القرآنية، حيث إن اللوحة القرآنية تتبع كل آياتها تقريباً فاصلة واحدة أو فواصل متقاربة الإيقاع، حتى إذا تمت اللوحة وبدأت لوحة جديدة أو موضوع جديد من موضوعات السورة تغيرت الفاصلة، وهي بذلك تتدخل عنصراً أساسياً من عناصر تكوين اللوحة القرآنية.

(١) أبو عمرو الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد (جامعة بغداد، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٨م) (ص ١٠٤)، د. عبد الرحمن يوسف الجمل، المغني في علم التجويد برواية الإمام حفص عن عاصم، (مكتبة آفاق، غزة، ط ٣، ٢٠٠١م) (ص ١١٠، ١١١).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢/ ٨٧).

(٣) الرّماني، النكت في إجاز القرآن (ص ٩٨).

وحيث إن هذه السورة تعالج قضية الحق والباطل، وقضية الإيمان والكفر، نجد أن الفاصلة فيها تتغير بحيث تتناسب مع عرض صور اللوحة وتتناسق مع جو السورة كلها، فتأتي كل لوحة بإيقاعات ذات رنين خاص بها؛ فتأتي الفواصل مرة متقاربة وأخرى متماثلة وتارة متباعدة.

ويتضح هذا من خلال دراسة فواصل سورة غافر:

ابتدئت اللوحة الأولى بالحديث عن نزول القرآن الكريم وبيان إعجازه من خلال ابتدائه بالحروف المقطعة التي جاءت للتحدي؛ لذلك انتهى أول مقطع في هذه السورة المكون من الآيات [٢١١] وكانت فواصل هذه الآيات (حم، العليم) تنتهي بحرف الميم، الذي هو حرف أغن مسبوق بحرف المد حيث يتناسب مع سياق تلك الآيات، ثم لما تغير الموضوع، وبدأت لوحة جديدة بانتقال الحديث إلى التعريف بالله تعالى وصفاته تغير إيقاع الفاصلة فصارت راءً قبلها حرف مدّ (المصير) في آية واحدة، في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣] ناسب هذا الإيقاع نو الرنين الخاص ألفاظ تلك الآية، فكأنما هو مطارق.^(١)

وبعد ذلك بدأت لوحة جديدة تبين حال المجادلين في آيات القرآن ومحاجة الكفار ومجادلتهم وكشف أباطيلهم في الآيات [٤-٦] فيتغير إيقاع الفاصلة بحروف متقاربة مع تقارب في الوزن، فكانت هذه الفواصل (البلاد، عقاب، النار).

ثم بعد ذلك تبدأ لوحة جديدة بانتقال الحديث إلى بيان وظيفة حملة العرش واستغفارهم للمؤمنين واستجابة الله لدعائهم، فيتغير إيقاع الفاصلة في الآيات [٧-٩] فصارت ميمًا قبلها حرف مد (الجحيم، الحكيم، العظيم)، وجاء حرف المد هذا ليناسب جوّ الدعاء ونسمات الرحمة والرضوان!! فتكون الفاصلة بذلك قد أسهمت في رسم اللوحة ونقل الصورة كاملة.

ثم بعد ذلك بدأت لوحة جديدة في الآيات [١٠-٢٢] وذلك بانتقال الحديث إلى عرض بعض من مشاهد يوم القيامة، فتحوّلت الفاصلة إلى حروف متقاربة، ويتخلل هذه المشاهد إنذار من رب العالمين للكفرة، فنجد الفاصلة في آيات الإنذار قد تحولت إلى حروف متباعدة.

(١) راجع: سيد قطب، ظلال القرآن (دار الشروق، القاهرة)، (٣٠٦٥/٥).

والتوضيح كالاتي:

نجد أنه في الآيات [١٠-١٤] تعرض لنا مشاهد من أهوال يوم القيامة حيث الكفار وهم في قعر جهنم يتضرعون إلى الله -تعالى-، وتوبيخ وتقريع هؤلاء الكفار، ثم بيّن سبحانه أن هؤلاء الكفار ما وصلوا إلى هذا الخلود والعذاب في جهنم إلا بسبب كفرهم وشركهم في الدنيا، مع أنه سبحانه أنزل لنا الآيات الكونية والآيات القرآنية الشاهدة له بالوحدانية والربوبية؛ لذلك يأمرنا بعد ذلك بأن نخلص الدعاء والعبادة له وحده لننجو من عذاب جهنم؛ لذلك جاءت فواصل هذه الآيات تنتهي بحروف متقاربة على النحو التالي: (ن، ل، ر، ب، ن) في الكلمات التالية: (فتكفرون، سبيل، الكبير، ينبب، الكافرون)، والملاحظ تماثل الفاصلة الأولى مع الفاصلة الأخيرة في هذه اللوحة لتشير إلى ترابط آياتها.

ثم جاءت آية الإنذار [١٥] فتغيرت الفاصلة إلى حرف متباعد وهو حرف القاف المسبوق بألف مدية في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ فناسب هذا الحرف الإنذار لما فيه من صفات قوة كالجر والشدة والاستعلاء وغيرها من الصفات.^(١)

ثم بعد ذلك تحولت الفاصلة في الآيات [١٦] إلى حروف متقاربة (ر، ب) مسبوقين بألف مدية في الفاصلة (القهار، الحساب) لتكتمل اللوحة القرآنية فيأتي بمشهد آخر من مشاهد يوم القيامة حيث يظهر الناس من قبورهم لا شيء يسترهم، ولا يخفى على الله من أعمالهم وأحوالهم شيء، في هذا الموقف العظيم يقول الله -تعالى-: (لمن الملك اليوم)، فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه بنفسه فيقول: (الله الواحد القهار)، ثم تجازى كل نفس بما عملت، ويحاسب الخلائق جميعاً، يا له من مشهد عظيم مهول!!

ثم تلت هذا المشهد آية إنذار أخرى من أهوال يوم القيامة [١٨] فتحوّلت الفاصلة إلى حرف متباعد وهو حرف العين المسبوق بألف مدية في قوله تعالى: ﴿وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ... يُطَاعُ﴾ فناسب هذا الحرف الإنذار القوي لما فيه من صفة قوية وهي صفة الجهر.^(٢)

(١) انظر: سيبويه، الكتاب (٤/٤٣٤)، أبو عمرو الداني، التحديد في الإتيان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد (جامعة بغداد، ط١٤٠٧هـ، ١٩٨٨م) (ص١٠٧)، د. عبد الرحمن يوسف الجمل، المغني في علم التجويد برواية الإمام حفص عن عاصم (ص١٤٢).

(٢) انظر: الكتاب، سيبويه (٤/٤٣٤)، أبو عمرو الداني، التحديد في الإتيان والتجويد (ص١٠٧)، د. عبد الرحمن يوسف الجمل، المغني في علم التجويد برواية الإمام حفص عن عاصم (ص١٤١).

ثم بعد ذلك تحولت الفاصلة في الآيات [١٩-٢٠] إلى حروف متماثلة وهو حرف الراء فجاءت الفاصلة (الصدور، البصير) لتكتمل مشاهد يوم القيامة فتخبر عن سعة علم الله ﷻ وإطلاعه، وعلى إظهار أنوار العدل يوم القيامة، ثم تلت هذه الآيات آية إنذار أخرى [٢١] لكفار قريش المكذبين برسولهم فأمرهم على لسان نبيه ﷺ أن ينظروا نظرة اعتبار وموعظة لما حلّ من عذاب بالأمر السابقة لما كذبت رسلها، فأخذهم الله بذنوبهم؛ لذلك انتهت آية الإنذار بحرف متباعد وهو حرف القاف المسبوق بألف مدية في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمَنْ مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ فناسب هذا الحرف هذا الإنذار لما فيه من صفات قوة.

ثم انتهت اللوحة القرآنية مقررة أن سبب أخذ الله ﷻ للأمر السابقة وعذابهم كفرهم بالآيات البيّنات والحجج الواضحات التي جاءتهم بها رسلهم وتكذيبهم لها، لذلك تحولت الفاصلة في هذه الآية إلى حرف الباء في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فناسب هذا الحرف أن يكون نهاية اللوحة القرآنية الكبيرة؛ لأن مخرجه من بين الشفتين بانطباقهما^(١)، فأغلقت هذه اللوحة على حرف الباء.

والملاحظ أن الحروف بعيدة المخرج (ق، ع) لم تأت في هذه السورة إلا في آيات الإنذار السابقة فقط.

واختلاف حروف فواصل هذه اللوحة القرآنية جاءت لتتناسب مع عرض هذه الصورة العنيفة المخيفة لتتناسق مع جو السورة كله الذي هو جو معركة، جو صراع بين الحق والباطل.

وتبدأ لوحة جديدة [٢٣-٤٦] بموضوع جديد يعتبر مثالاً من أمثلة الأمم السابقة التي كفرت وكذبت برسولها، وهي قصة موسى ﷺ وإنكار فرعون عليه الدعوة إلى الله - تعالى-، ومناظرة الرجل المؤمن لقوم فرعون نائباً عن موسى ﷺ، بحيث تبين هذه المناظرة دعوة الحق وبراهينها القوية الناصعة، ومنهجها وأساليبها المتنوعة في إطار تفويض الأمر لله ﷻ من قبل ومن بعد؛ لذلك نجد أن إيقاع الفاصلة تغيّر إلى حروف متقاربة، ويتخلل هذه اللوحة مشاهد تتحد فيها الحروف لتظهر معالم بارزة في هذه اللوحة القرآنية، حتى تظهر هذه اللوحة وكأنها مكونة من عدة مشاهد تزين هذه اللوحة وكأنها باقات جميلة؛ لذلك نرى أن اللوحة بدأت بالإخبار عن إرسال موسى ﷺ بالآيات والحجج

(١) انظر: الكتاب، سيبويه(٤/٤٣٣)، أبو عمر الداني، التحديد في الإتيان والتجويد (ص١٠٦).

القوية فانتهت بحرف النون بكلمة (مبين)، ثم تلتها الآيات [٢٤-٢٦] التي تتحدث عن إنكار فرعون على موسى وهارون الدعوة إلى الله، فتغيرت الفاصلة إلى حروف متقاربة في المخرج والوزن على النحو التالي: (ب، ل، د) في الكلمات التالية: (كذاب، ضلال، الفساد). ثم انتقل المشهد [٢٧-٢٨] إلى موسى ﷺ وهو يستعيز بالله ﷻ من شر كل متكبر، وإلى وجود رجل مؤمن يدافع عن دعوة الله ﷻ، فكانت الفاصلة واحدة هي الباء (الحساب، كذاب) متماثلة؛ بسبب وحدة القصد وهو الدفاع عن دعوة الله -تعالى-.

ولما استمر الحديث عن دفاع الرجل المؤمن عن موسى ودعوته واستماتته في ذلك، جاء إيقاع الفاصلة بحروف متقاربة في المخرج والوزن في ﴿وَمَا أُمِدُّكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] وما بعدها من الآيات حتى الآية الخامسة والثلاثين انتهت بحرف الراء (جبار)، تخلل هذا الحديث ثلاثة آيات [٣١-٣٣] توحدت في الفاصلة وهي حرف الدال المسبوق بحرف المد (للعباد، التناد، هاد) حيث يبرز الجانب العاطفي، فيظهر حبه وخوفه على من يدعوهم.

بعد ذلك تغيرت الفاصلة [٣٦-٣٧] إلى حرف الباء في (الأسباب، تباب) لما انتقل المشهد إلى فرعون الذي أراد أن ينفي وجود الإله بالدليل الحسي بعدما سمع قول الرجل المؤمن، فلما عاد مؤمن آل فرعون في وعظه لقومه انتقلت الفاصلة إلى حرف الدال [٣٨] وما بعدها من الحروف المتقاربة استمرت حتى الآية الرابعة والأربعين حيث تفويض الأمر إلى الله -تعالى-، وكانت الفاصلة في الكلمات التالية: (الرشاد، القرار، حساب، النار، الغفار، النار، العباد). مع الملاحظ أن فاصلة الآيات الثلاث قبل الأخيرة توحدت في حرف الراء؛ لأن دعوته هنا في هذه الآيات فيها تصريح بإيمانه بالله ﷻ وبرسالة موسى ﷺ، في حين أن حديثه لقومه قبل ذلك لم يصرح من خلاله عن إيمانه. ثم تغيرت الفاصلة [٤٥-٤٦] إلى حرف الباء حيث توحدت الفاصلتان في كلمة (العذاب) لينتقل إلى المشهد الأخير في هذه اللوحة القرآنية، حيث عرضت لنا نجاة موسى ﷺ والرجل المؤمن ونهاية أمر آل فرعون وهي العذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

وهكذا انتهت هذه اللوحة القرآنية بمشاهدها المختلفة، فرأينا كيف تنتقل الفاصلة لتظهر لنا تقسيمات هذه اللوحة القرآنية بوضوح، مع الملاحظة بأن هذه اللوحة بدأت بحرف الباء وانتهت بحرف الباء فتظهر لنا بوضوح حدود هذه اللوحة. ثم تبدأ لوحة أخرى [٤٧-٥٠] بفواصل متقاربة الحروف مسبقة بألف مديّة: (د، ر، ب، ل) في الكلمات التالية

(النار، العذاب، ضلال)، بموضوع جديد يعرض لنا مشهداً آخر من مشاهد يوم القيامة حيث المناظرة بين رؤساء الكفار وأتباعهم في النار. فإذا انتهت اللوحة الأخروية وبدأت لوحة [٥٤-٥١] الوعد بالنصر لرسله، وبيان أن العقاب للمؤمنين المهتدين الطائعين ولرسلمهم في الدنيا ويوم القيامة، فقد نصر موسى ﷺ رغم جبروت فرعون، نجد أن الفاصلة تغيرت إلى حرف الدال وتليها حروف متقاربة لهذا الحرف مسبوقه بألف مديّة أيضاً، وهي: (د، ر، ب، ب) في الكلمات التالية: (الأشهاد، الدار، الكتاب، الأبواب) وتمائل الفاصلتين الأخيرتين؛ لأن الآية الأخيرة جاءت لتوضيح ما قبلها.

ثم بدأت لوحة أخرى [٥٦-٥٥] فتحوّلت الفاصلة إلى حرف الراء (الإبكار- البصير)؛ وذلك لأن الخطاب تحوّل إلى رسول الله محمد ﷺ يأمره بالصبر والاستغفار والتسبيح والاستعاذة بالله ﷻ، ويبين له أن سبب جدال الكفار بآيات الله -تعالى- هو الحسد وحب الرياسة والتكبر عن أن يكونوا تبعاً للرسول ﷺ، ثم يتغير نظام الفاصلة [٨٥-٥٦] فتصبح بحرف النون وقبله مد طويل تستمر هذه الفاصلة إلى نهاية السورة، وكأنه في هذه الآيات يصدر أحكاماً ومواعظ بعد نهاية القصة، مستمداً منها، ولهجة الحكم تقتضي أسلوباً موسيقياً غير أسلوب الاستعراض ويقتضي إيقاعاً قوياً رصيناً، بدل إيقاع القصة المسترسل وكأنما لهذا السبب كان التغيير؛ لذلك ختمت السورة بلوحة تعرض لنا فيها مصارع الغابرين من الأمم السابقة الذين كفروا بالله ﷻ وكذبوا برسلمهم، وعقوبة الله لهم في الدنيا والآخرة لتكون عبرة لغيرهم، فتناغمت هذه اللوحة مع الإيقاع لتؤدي الغرض المطلوب.

وهكذا نرى كيف أن الفاصلة شاركت في رسم اللوحات البديعة، ونقل القارئ في جو تلك السورة من إيقاع الزجر والشدة إلى إيقاع الرحمة والرضوان، ومن إيقاع التنكيل والدمار إلى إيقاع الهدوء والنعيم، وتنتهي بالإيقاع القوي الرصين وهذا بلا شك من صور الإعجاز والجمال في هذا الكتاب الخالد.

ثانياً: مناسبة التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية:

للفاصلة القرآنية وظيفة مهمة في كثير من آيات القرآن، وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة، ولقد يتكلم البلاغيون في أغراض التقديم والتأخير، فيوردون من أسباب ذلك أموراً تدور حول رعاية المعنى، ربما جعلوا الاهتمام بمدلول اللفظ عنواناً يندرج تحته الكثير من هذه الأمور وهذا أمر لا اعتراض عليه.

ولكني لا أعلم واحدًا منهم جعل من أغراض التقديم والتأخير الانتفاع بجرس اللفظ، ربما تركوا ذلك لاهتمامات الشعراء أنفسهم عند اختيارهم للقفوي، أما في القرآن الكريم فإن أحد الأسباب يمكن أن يوصف بأنه: رعاية الفاصلة".^(١)

وقد عرّف الزركشي التقديم والتأخير فقال: "هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق".^(٢) فالألفاظ في اللغة قوالب للمعاني، يجب أن ترتب ترتيبًا وضعيًا بحسب ترتيبها الطبيعي، ولكن قد يعرض لبعض الكلام من المزايا ما يدعو إلى تقديمه، وإن كان حقه التأخير، فيكون من الحسن التقديم ليكون مشيرًا إلى الغرض الذي يراد، و مترجمًا عن مقصودة.^(٣)

وقد بلغ القرآن الكريم الدرجات العلا في التقديم والتأخير، فوضع الكلمة - وخاصة الفاصلة القرآنية - في الوضع الذي تستحقه في التعبير، فتأتي متوافقة ومتناسقة في السياق بحيث لا يصلح مكانها غيرها. ويقول فيه العلامة عبد القاهر الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية..."^(٤)

الأمثلة على التقديم والتأخير من خلال سورة غافر:

• تقديم اللفظ على عامله:

تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣] هنا في هذه الآية الضمير المستتر في الخبر المحذوف (إليه) متعلق بخبر مقدم للمبتدأ (المصير).^(٥)

يرى ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أن تقديم الخبر وتأخير المبتدأ في (إليه المصير)

(١) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن (عالم الكتب، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، (١/١٩٨).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٣/٢٣٣).

(٣) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (المتوفى: ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاکر أبو فهر (مطبعة المدني بالقاهرة، دار المندي بجدة، ط ٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، (ص ١٠٦).

(٤) انظر: محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن (دار الرشيد مؤسسة الإيمان، دمشق، ط ٤، ١٤١٨هـ)، (٢٤/٢١٩).

جاء للاهتمام ولرعاية الفاصلة: "وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ فِي (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) لِلِإِهْتِمَامِ وَلِلرَّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ بِحَرْفَيْنِ: حَرْفِ لَيْنٍ، وَحَرْفِ صَحِيحٍ مِثْلَ: الْعَلِيمِ، وَالْبِلَادِ، وَعِقَابٍ".^(١)
ويقول محيي الدين درويش (ت ١٤٠٣هـ) في كتابه إعراب القرآن وبيانه: "تقديم إليه للحصر، والمصير: المرجع، مصدر ميمي، فمعناه الرجوع، وإنما يصار إليه ليجازي المطيع والعاصي وكونه إلهاً واحداً يوجب الإقبال إليه بالكلي".^(٢)

وأما الزركشي فإنه للاختصاص؛ فقد جعله غرضاً سابعاً من أغراض التقديم في جملة من الآيات بقوله: "السابع: الاختصاص، وذلك بتقديم المفعول والخبر والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل، كقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ أي نخصك بالعبادة فلا نعبد غيرك....
وأما تقديم الظرف ففيه تفصيل فإن كان في الإثبات دل على الاختصاص كقوله تعالى ﴿إِنَّ إِيَّاكَ إِنَّا كَانُوا عَلَيْكُمْ صَاغِرِينَ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦] وكذلك ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١] فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى، وقوله ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ تُخَشِرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨] أي: لا إلى غيره".^(١) وقد ذكر أيضاً نقلاً عن الزمخشري أنه ليس من البلاغة في فتيل أو نكير أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه.^(٢)
بينما عارض ضياء الدين ابن الأثير^(٣) أن يكون غرض التقديم والتأخير للاختصاص مخالفاً بذلك الزركشي والزمخشري بل جعله في الفاصلة لمراعاة حسن النظم السجعي، أي: رعاية الفاصلة، فقال: "قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٢] وقوله تعالى ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] و﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠] فإن هذه جميعها لم تقدم الظروف

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/٨١).

(٢) محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية)، (دار اليمامة، دمشق، بيروت، ط ٤، ١٥٤١هـ)، (٤٥٦/٨).

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢٣٦/٣).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٧٢/١).

(٥) هو ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الوزير الفاضل ضياء الدين أبو الفتح الشيباني الخرجي المعروف بابن الأثير، توفي عام ٦٣٧هـ انظر ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١٣٥/٢).

فيها للاختصاص، وإنما قدمت لمراعاة الحسن في نظم الكلام فاعرف^(٤). وفي مخالفة ابن الأثير شيء من عدم الصحة؛ وذلك لتعلق التقديم والتأخير بالمعنى مع رعاية الفاصلة. وبذلك حقق تقديم الخبر على المبتدأ فيما تقدم من الآية غرضين، الأول: إيقاعي وهو لرعاية الفاصلة مع ما تقدمها، والثاني: بلاغي وهو الاهتمام والحصر والاختصاص.

• وفي تقديم المعمول على معمول آخر أصله التقديم:

كتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١]؛ فهنا تقدم خير كان (ولهم) على اسمها (واق) فهو مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه اسم كان المؤخر، (من الله) متعلقان بـ(واق).^(٥) وتقديم الجار والمجرور للاهتمام بالمجرور والفاصلة؛ لأن اسم الله ﷻ قيل: لم يقع مقطوعاً للفواصل، فالمعنى: ليس لهم واق من الله ﷻ يقبهم ويمنع عنهم عذابه تعالى أبداً، وأفاد الفعل "كان" استمرار النفي.^(٦) فجاء التقديم والتأخير هنا للاهتمام.

• وفي تقديم اللفظ على عامله:

أيضاً قوله تعالى: ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]؛ هنا في هذه الآية "تقديم" اسم الله ﷻ على الخبرِ الفعليِّ لِإِفَادَةِ قَصْرِ مَدْلُولِ الْمُسْنَدِ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَإِذْ كَانَ الْمُسْنَدُ وَاقِعًا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ كَانَ الْمَعْنَى: قَصْرُ نَفْيِ إِرَادَةِ الظُّلْمِ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- قَصْرَ قَلْبٍ، أَيْ اللَّهُ لَا يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ بَلْ غَيْرُهُ يُرِيدُونَهُ لَهُمْ وَهُمْ قَادَةُ الشُّرُكِ وَأُمَّتُهُ إِذْ يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].^(١)

(١) أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم، المعروف بابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م)، (٤٠/٢).

(٢) انظر: محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (٤٧٤/٨).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/١٣٥).

فتدمير الله ﷻ لهؤلاء الأحزاب لم يكن ظلماً منه - سبحانه وتعالى - بل كان عدلاً؛ لأنهم كذبوا برسول الله ﷻ وتحزبوا عليهم فاستوجب ذلك إهلاكهم، ففي هذه الآية نفي إرادة الظلم عن الله ﷻ فمن كان عن إرادة الظلم بعيداً كان عن الظلم نفسه أبعد. (١) وبذلك حقق التقديم والتأخير زيادة في المعنى، وهو نفي إرادة الظلم من الله - تعالى - البتة لعباده، وظلم قادة الشرك وأئمة للعباد.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣] تقدم خبر ما الحجازية (له) على اسمها (هاد) فهو مجرور محلاً (٢)، ومنهم من يرى أن (ما) هنا مهمله (له) متعلق بخبر مقّم للمبتدأ هاد، (هاد) مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ. (٤) وقد أفاد التقديم والتأخير في الآية غرضين: الأول: إيقاعي وهو لرعاية الفاصلة مع ما تقدمها، والثاني: بلاغي وهو الاختصاص، أي اختصاص الله ﷻ بالهداية، ويتضح ذلك من خلال تفسير الآية وتعلقها بما قبلها فبعد أن حذر الرجل المؤمن قومه في الدنيا بأس الله الشديد، وخوفهم بالعقاب الذي حل بالأمم السابقة، حذرهم من بأس الله - تعالى - في الآخرة حيث قال سبحانه على لسان الرجل المؤمن: (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التتاد، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم) ولما كان من عادة المتنادين الإقبال، وصف ذلك اليوم بصد ذلك لشدة الأحوال فقال مبيناً: (يوم تولون مدبرين)، ولما كان المدبر يقصد في إداره معقلاً يمنع ويستتره قال مبيناً حالهم: (ما لكم من الله من عاصم)، وهذا الحال في ذلك اليوم مكتسب من حالهم في الدنيا وضلالهم فيها، لذلك عطف عليه قوله معمماً: (ومن يضل الله فما له من هاد) (٥) وفيها إشارة خفية إلى قوله فرعون: (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) وتلميحاً بأن الهدى هدى الله، وأن من أضله فلا هادي له. (٦) وبهذا أفاد تقديم ما على اسمها اختصاص الهداية بالله ﷻ، ولعلها أيضاً إشارة إلى اختصاص فرعون بالهلاك وأنه ميئوس من هدايته أيضاً الله ﷻ أعلم.

(١) انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١،

١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، (مج ١٤ ج ٢٧/٥٣).

(٢) انظر: محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (١٢٧/٥).

(٣) انظر: محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن، (٢٤٢/٢٤).

(٤) انظر: البقاعي، نظم الدرر (٥١١/٦-٥١٢).

(٥) انظر: سيد قطب، الظلال (مج ٥ ج ٢٤/٣٠٨٠).

وقوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]،

هنا تأخير (سوء العذاب) مع أنه فاعل للفعل (حاق)، والأصل أن يتصل الفعل بالفاعل ويؤخر المفعول به إن كان في الجملة؛ فتأخير ما أصله أن يُقدّم لحكمة، فتأخير الفاعل يجعل النفس تشوق له، فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع، كذلك تقديم الجار والمجرور (بآل فرعون) على الفاعل (سوء العذاب) للاختصاص فقد خصهم الله ﷻ بسوء العذاب بسبب ما هموا به من المكر بالمؤمنين وتعذيبهم. فحاق بهم أي رجع عليهم فكان الجزاء من جنس العمل. (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ) أي بفرعون وقومه، فعدم التصريح به بسبب الاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك، ويجوز أن يكون (آل فرعون) يشمل فرعون فيراد بهم مطلق كفره القبط.^(١)

أي أن التقديم والتأخير هنا جاء للاختصاص، وللتشويق لفاعل الفعل فقد كافأ الله المؤمن؛ لأنه التجأ إلى الله البصير بعباده، وفوض أمره إليه بعد نصحه لقومه كافأه بأن حفظه ووقاه سيئات ما مكروا، وحاق بآل فرعون سوء العذاب.^(٢)

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَهُمْ للْعَنَةِ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢]، تقديم ما حقه التأخير حيث قدم الخبر (لهم) وأخر المبتدأ (اللجنة)، و(سوء الدار)، ولا شك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل: اللعنة لهم وسوء الدار لهم؛ لأن التقديم والتأخير قد أفاد الاهتمام بالانتقام منهم، كما أفاد التخصيص والحصر؛ فاللعنة مقصورة عليهم وهي الإهانة والإذلال، وسوء الدار وهو العقاب الشديد لهم في هذا اليوم، وإذا كان هذا لهم فما ظنك بما هو عليهم.^(٣) ولا يخفى ما في الجملتين من إهانتهم والتهمك بهم وبذلك حقق تقديم الخبر على المبتدأ فيما تقدم من الآية غرضين، الأول: إيقاعي وهو لرعاية

(١) انظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (مصدر الكتاب: موقع التفاسير <http://www.altafsir.com> (٣٧/٦)، الألويسي، روح المعاني (١٠١/١٨).

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر (٥١٩/٦).

(٣) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (مج ١٤ ج ٢٧/٦٧)، الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢٣٦/٣)، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق المهدي (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م) (٥٢٤/٦)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/١٦٩).

الفاصلة مع ما تقدمها، والثاني: بلاغي وهو الاهتمام بالانتقام منهم وإهانتهم والحصص والاختصاص.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعُضِّ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيكَ فَإِنَّا يُرْجِعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]، في قوله: (إلينا يرجعون) أكد ابن الأثير أن تقديم الجار والمجرور لمراعاة الحسن في نظم الكلام، أي لرعاية الفاصلة، واستبعد أن يكون التقديم للاختصاص.^(٤)

في حين أن ابن عاشور يرى أن في تقديم الجار والمجرور غرضين، الأول: لرعاية الفاصلة وهو غرض إيقاعي، والثاني: للاهتمام وهو غرض بلاغي.^(١) بينما ذكر الزركشي أنه يفيد الاختصاص، أي اختصاص ذلك بالله -تعالى- لا إلى غيره.^(٢) فالمعنى: فإما نربيك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك، أو نتوفيك فإلينا يرجعون فهم غير مفلتين مما نعدهم، ويجوز أن يكون (إلينا يرجعون) جواباً للفعل (نتوفيك) و(نربيك) بمعنى إن نعبهم في حياتك أو لم نعبهم فإننا نعبهم في الآخرة أشدَّ العذاب وأقطع كما ينبىء عنه الاقتصاد على ذكر الرجوع في هذا المعرض.^(٣)

وهكذا فإن التقديم أفاد الاهتمام والاختصاص إضافة إلى رعاية الفاصلة، وأن كلام ابن الأثير لا يسلم به على إطلاقه.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (٨٠). [غافر: ٧٩-٨٠].

اعتبر ابن مسعود في تفسيره أن تقديم المجرورات في قوله: وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَقَوْلِهِ: وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ لِمُرَاعَاةِ الْفَوَاصِلِ^(٤)، بينما زاد الألويسي وابن عاشور في تفسيريهما أن تقديم المجرورات جاء لرعاية الفاصلة، ولغرض بلاغي وهو الاهتمام بما هو مقصود في السياق.^(٥)

(١) انظر: ابن الأثير، المثل السائر (٤٠/٢).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/٢٠٩).

(٣) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢٣٧/٣).

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٤٤/٦).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٤٥/٦).

(٦) انظر: روح المعاني، الألويسي (١٤٠/١٨-١٤١)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/٢١٧).

فقد ذكر الله ﷻ ما امتن به على الإنسان من نعمة الركوب للأتعام في البر ونعمة الأكل من الأتعام وقدم (منها) على (تأكلون) لإظهار أهمية الأكل، وذكر ما امتن به من منة الركوب في البحر وقدم (وعلى الفلك) على (تركبون) لإظهار أهمية الركوب والله تعالى أعلم.

• وفي تقديم المفعول به على الفعل والفاعل:

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر: ٨١]، فإن كلمة: (أي) اسم استفهام، وهو مفعول به مقدم لفعل: (تنكرون) قدم وجوباً، والسبب أن اسم الاستفهام له الصدارة في الجملة.^(٦) فلا يستقيم المعنى بغير ذلك، ولا يقال: (آيات الله أي تنكرون، أو: آيات الله تنكرون أي؟)، والاستفهام يُفِيدُ التوبيخ، بمعنى أن جميع الآيات صالح للثبوت على وخذائفة الله ﷻ وقدرته وأنهم لا عذر لهم في عدم الاستفادة من إحدى الآيات، فإن كلاً منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترأ على إنكارها من له عقل، وزاد في توضيح هذا المعنى إضافة (الآيات) إلى اسم الجلالة؛ وذلك لتحويل إنكارها وتريبه المهابة.^(٧)

وبذلك نرى أن التقديم في هذه الآية إضافة إلى غرضه البلاغي إلا أنه جاء لرعاية الإيقاع في الفاصلة؛ وذلك لأن فواصل الآيات السابقة كلها نون مسبوقة بحرف مد فيتحقق الإيقاع الجميل بذلك.

وفي تأخير الأسبق في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] عدل البيان القرآني فيما هو مألوف، ومتبادر من تقديم (الإبكار) على (العشي)، والذي اقتضى تقديم (العشي) على (الإبكار) هنا المعنى، في سياق إثبات قيام الساعة، فكان العشي أدل عليها؛ لذلك قدم.^(٨)

وهكذا نرى أن التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية إنما جاء لغاية ووضع ليؤدي معنى وهدف فلا تتأخر ولا تشتت للمعنى بل يعطي مزيداً من الترابط والتلاحم مع ألفاظ الآية والمقطع، فيظهر بذلك جمالها وأهميتها وهذا من الإعجاز البياني لكتاب الله العظيم.

(٦) انظر: محيي الدين درويش، إعراب القرآن (٥٢٤/٨)، محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في

الإعراب (٢٩٧/٢٤)، عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (مكة،

١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، (ص ١١٤).

ثانياً: مناسبة الجنس في الفاصلة:

تذكير ما أصله أن يؤنث: في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾

[غافر: ٨١].

القاعدة أن تكون (أية) مراعاة لتأنيث آيات، ولكن الأكثر في استعمال (أي) إذا أُصِفَتْ إِلَى اسْمٍ مُؤنَّثٍ اللَّفْظِ أَنْ لَا تَلْحَقَهَا هَاءُ التَّأْنِيثِ اِكْتِفَاءً بِتَأْنِيثِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ لِأَنَّ الغَالِبَ فِي الأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ بِصِفَاتٍ أَنْ لَا يُفَرَّقُ بَيْنَ مُذَكَّرِهَا وَمُؤنَّثِهَا بِالْهَاءِ نَحْوَ حِمَارٍ فَلَا يُقَالُ لِلْمؤنَّثِ حِمَارَةٌ. و(أي) اسْمٌ وَيَزِيدُ بِمَا فِيهِ مِنَ الإِبْهَامِ فَلَا يفسره إِلا المضاف إليه فَذَلِكَ قَالَ هُنَا أَيَّ آيَاتِ اللَّهِ دُونَ: فَأَيَّةَ آيَاتِ اللَّهِ، لِأَنَّ الإِحَاقَ عِلْمَةَ التَّأْنِيثِ بـ (أي) فِي مِثْلِ هَذَا قَلِيلٌ، وَمِنْ غَيْرِ الغَالِبِ تَأْنِيثِ (أي) فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ الكُمَيْتِ^(٢): بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ... تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلِيٍّ وَيُحْسَبُ^(٣).

ثالثاً: مناسبة إيقاع شيء مكان شيء آخر في الفاصلة (الإحلال اللفظي)^(٤):

وصوره كثيرة في الفواصل نذكر منها:

- إيقاع الظاهر موقع المضمرة، في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

فَبئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦]، ورد في الآية (مثنوى المتكبرين) بدلاً من (مثواكم)، يقول ابن عاشور: "وإنما عدل عن ضميرهم إلى الاسم الظاهر وهو المتكبرين للإشارة إلى أن من أسباب وقوعهم في النار تكبرهم على الرسل. وليكون لكل مؤصوفٍ بالكبر حظ من استحقاق العقاب إذا لم يتب ولم تغلب حسناته على سيئاته إن كان من أهل الإيمان".^(١) وفي هذه الآية أيضاً اقتضى النظم الجليل أن يقال: (فبئس مدخل المتكبرين)، بدل: (فبئس مثنوى

(١) وبيت الشعر هو للكُميت بن زيد الأسدي، من قصيدة هاشمية يمدح فيها آل الرسول ﷺ وهو من الطويل. انظر: ابن جني المحتسب (١/١٨٢)، الحموي، خزنة الأدب (٤/٢٩٠)، السمين الحلبي، الدر المصون (٢/١١٧) (٩/٢١٩).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/٢١٩)، وانظر: الزمخشري، الكشاف (دار الفكر)، (٣/٤٣٩)، السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تحقيق: د. أحمد محمد الخراط (دار القلم، دمشق)، (٩/٥٠٢).

(٣) هو إيقاع لفظ محل لفظ آخر لدلالة بلاغية وحاجة سياقية بعناصره المتنوعة.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/٢٠٧).

المتكبرين) حتى يتجاوب الصدر: (ادخلوا أبواب جهنم) مع العجز، كما يقال: زر بيت الله فنعم الزار؛ وذلك لأنّ المثوى أدلّ على الخلود فهو أولى بمساعتهم وفيه عظيم من الشماتة^(٢). يقول السمين الحلبي في تفسيره: "لم يقل فيئسَ مدخلُ؛ لأنّ الدخولَ لا يدوم وإنما يدومُ الثواءُ؛ فلذلك خصّه بالذمِّ، وإن كان الدخولُ أيضاً مذموماً"^(٣).

- وفي إيقاع الظاهر موقع المضمّر أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَّتْ اللهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]، عدل عن ضمير ﴿الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر: ٢١] إلى الاسم الظاهر وهو (الكافرون) إيماءً إلى أن سبب خسرانهم هو الكفر بالله ﷻ وذلك إغذار للمشركين من قريش.^(٤) وهذا أبلغ في التهديد.

- وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ تُكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٧٤]، وفي إيقاع الظاهر موقع المضمّر تكلم السعدي في تفسيره كلاماً جميلاً في مناسبة ذلك قائلاً: "وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله ﷻ أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين، فلماذا لم يقل (وما كيدهم إلا في ضلال)، بل قال: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾"^(٥).

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (٣/٤٣٧)، البقاعي، نظم الدرر (٦/٥٣٩)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٦/٤٤٤).

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون (٩/٤٩٩).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/٢٢٣).

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدم له: محمد بن صالح العثيمين (دار البيان الحديثة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، (ص ٧٠٨).

كذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، فبدل أن يقول (ولكن أكثرهم لا يعلمون)، (ولكن أكثرهم لا يشكرون) وضع الظاهر موضع المضمرة؛ وذلك زيادة في التقرير والتمكين.^(٦)

ومما سبق يتبين لنا أن إيقاع لفظ محل لفظ آخر في الفاصلة القرآنية لا يخرج كتاب الله ﷻ عن دائرة البلاغة والفصاحة بل يزيده فصاحة وبلاغة لارتباط هذا الإيقاع بالمعنى لا لرعاية الفاصلة فقط.

رابعاً: مناسبة الزيادة أو الحذف في الفاصلة:

من مظاهر البلاغة في الفواصل زيادة بعض ما في الألفاظ أو حذفها، يقول الزركشي: "اعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع: أحدها زيادة حرف لأجلها... الثاني: حذف همزة أو حرف اطراداً".^(١) وسيأتي الكلام على الحذف دون الزيادة هنا. وفي بلاغة الحذف وجماله يقول عبد القاهر: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة..."^(٢)

- وحذف الحرف في الفاصلة ورد في حذف ياء الإضافة في قوله تعالى ﴿كَذَّبَتْ

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]، عدل البيان القرآني عن ياء الإضافة واكتفى بالكسرة عنها في (عقاب)، والأصل "عقابي"، ويرى كل من أبي حيان والسمين الحلبي

(١) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢/٨٤٤)، السيوطي: الإتيان (٢/٨٦٥).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١/٦٠-٦١).

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز (١٤٦).

والشوكاني والألوسي وابن عاشور أن سبب هذا العدول هو رعاية الفاصلة^(٣)، وورد في مجلة (اللغة العربية) أن سبب الحذف هو من أجل تحقيق الجانب الجمالي في الكلام المتمثل في المحاذاة أو المناسبة بين الكلمات.^(٤)

وفي كتب البلاغة أيضًا ورد أن الداعي في ذلك مراعاة النسق الجمالي في رؤوس الآيات. بمعنى رعاية الفاصلة. لكن د. فاضل السامرائي له رأي في ذلك، حيث يقول: "وقد تأتي الياء في مقام الإطالة والتفصيل، وتجتزأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز والاختصار".^(٥) فقد اختصر هنا الكلام عن الأقوام السابقة التي كفرت وكذبت رسلها فكان جزاؤهم سريعًا، ومما يؤكد ذلك اقتران الفاء التي تدل على السرعة في الفعل (فأخذتهم) فيدل على سرعة أخذ وإهلاك الله -تعالى- للذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب لهم عنده سبحانه، فكيف كان عقابه سبحانه إياهم، ألم يهلكهم فجعلهم للخلق عبرة، ولمن بعدهم عظة؟ غضبًا عليهم وإهانة لهم.

ويذكر البقاعي سبب الحذف هنا فيقول: "وحذف ياء المتكلم إشارة إلى أن أدنى شيء من عذابه بأدنى نسبة كاف في المراد وإن كان المعذب جميع العباد".^(١) وكان عقاب الله ﷻ السريع بسبب تكذيبهم وتحزبهم ضد أنبيائهم وتجمعهم للكيد بهم، فكيف كان العقاب لهم؟ ألم يكن شديدًا موجعًا!

ومما سبق يتبين أن حذف حرف الياء جاء مراعاة للنسق الجمالي في رؤوس الآيات، بالإضافة إلى مراعاة المعنى في إطار السياق الذي جاءت به هذه الفاصلة.

- وفي حذف الحرف في الفاصلة ورد في ياء المنقوص المعرف بأل في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]، بحذف ياء

(١) انظر: ابن حيان، البحر المحيط (٤٢٣/٧)، السمين الحلبي، الدر المصون (٤٥٩/٩)، الشوكاني، فتح القدير (٤٨٢/٤)، الألوسي، روح المعاني (٤٤/٢٤)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٨٧/٢٤).

(٢) فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (دار عمار، عمان، ط ٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، (ص ٢٤).

(٣) البقاعي، نظم الدرر (٤٨٦/٦).

المنقوص مع أن الاسم معرفاً بأل، وكلام العرب لا يحذف ياء المنقوص المعرف بأل^(٢)، فمن يرى إنما حُذِفَ هنا كل ذلك من أجل تحقيق الجانب الجمالي في الكلام المتمثل في المحاذاة أو المناسبة بين الكلمات.^(٣)

و(يوم التلاق) أي لا يستحق أن يوصف بالتلاقي على الحقيقة غيره لكونه يلتقي فيه الأولون والآخرون وأهل السماوات والأرض ولا حيلة لأحد منهم في فراق غريمه بغير فصل على وجه العدل، وإلى هذا المعنى أشارت قراءة ابن كثير^(٤) بإثبات الياء في الحاليين، وهو واضح جداً في أفراد حزبي الأسعدين والأخسرين فإنه تلاق لا آخر له، وأشارت قراءة الجمهور^(٥) بالحذف في الحاليين إلى تلاقي هذين الجزئين: أحدهما بالآخر فإنه - والله ﷻ أعلم - قل ما يكون حتى يفترقا بالأمر بكل إلى داره: الأسعدين بغير حساب، والأخسرين لا يقام لهم وزن، وأشار الإثبات في الموقف دون الوصل إلى الأمر الوسط وهي لمن بقي لقاؤهم يمتد إلى حين القصاص لبعضهم من بعض.^(٦)

وقد عزا الطبري قراءة: (يَوْمَ التَّادِ) بتخفيف الدال، وترك إثبات الياء، إلى عامة قرّاء الأمصار وفسرها على أنها بمعنى التفاعل، من تتادى القوم تتادياً.^(٧) أي يوم ينادي بعضهم بعضاً، أو ينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار، فهذا يناسب قراءة التخفيف (الحذف) أو ينادى فيه بسعادة السعداء، وشقاوة الأشقياء، أو يوم ينادي فيه كل أناس بإمامهم وهذا المعنى يناسب قراءة الإثبات.

- وفي حذف الضمير الذي يُعرب مفعولاً: وهذا من أشهر صور الحذف حيث يحذف المفعول به المتصل بالأفعال كـ(يشكرون، ويعلمون، ويفعلون، ويعملون، حيث

(١) بهاء الدين العقيلي، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م) (٤/١٥٦).

(٢) راجع: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الأعداد (٨١ - ١٠٢) (١٠٨٨/٢١).

(٣) انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م) (٢/٢٧٤).

(٤) انظر: أبو طاهر بن سوار، المستنير في القراءات العشر (دار الصحابة للتراث، طنطا) (ص٣٩٣).

(٥) البقاعي، نظم الدرر (٦/٤٩٤).

(٦) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، (مج١١ ج٢/٤٠).

يحذف معها المفعول كثيراً في الفاصلة لدواعٍ سياقية كقصد التعميم ولا سيما إذا كان في حيز النفي كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، والمقصود هنا يشكرونه فحذف الضمير، وعدم شكر الناس له سبحانه أي ينسبون أفعاله سبحانه إلى غيره جهلاً، أو يعملون بما يسلب عنهم اسم الشكر من الشرك وغيره. والغرض من حذف الضمير التعميم، وإثبات المعنى الذي دل عليه الفعل لفاعل غير متعلق بغيره.^(١) ولو ذكر المفعول صريحاً لصرف الذهن إلى شيء واحد فقط، كما حقق مع ذلك إيقاعاً جميلاً بتوافق، وقد يكون حذف الضمير هنا لذكر اسم الجلالة في هذه الآية مرتين. ويقول الخطيب الإسكافي: "إن كل موضع يحتمل الإضمار؛ لقرب الذكر".^(٢)

كذلك الملاحظ في هذه الآية أيضاً العدول عن ضمير الناس إلى الاسم الظاهر، فنراه تكرر عند ذكر عدم الشكر كما ذكر عند التفضل عليهم، فلا بد أن يكون مقصوداً فيزيد المعنى فصاحة وبلاغة ليسجل على هؤلاء الناس كفرانهم بوجه أصرح.^(٣)

- وفي مناسبة الجملة في الفاصلة: في إيراد الجملة التي ورد ما قبلها على غير وجه المطابقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [غافر: ٧٩]، تغيير النظم الجليل في الفاصلة (ومنها تأكلون) بدل (لتأكلوا منها) كالجملة السابقة (لتركبوا منها) قيل: إن هذا التغيير في الأكل لمراعاة الفواصل.^(٤)

وقد أورد الألويسي عن غيره مفاده: أن قوله تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ في معنى منها (تركبون) أو إن (منها تأكلون) في معنى لتأكلوا منها لكن لم يؤت به كذلك لنكتة. وفي ذلك يقول ابن عاشور: "وأريد بالركوب هنا الركوب للراحة من تعب الرّجلين في الحاجة القريبة بقرينة مقابلته بقوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾".

(١) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١٦٥/٣).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، (١/١١٢٨).

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤ / ١٨٦).

(٤) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٤٥/٦)، الألويسي، روح المعاني (١٨/٤٠).

وجملة ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ في موضع الحال من (الأنعام)، أو عطف على المعنى من جملة ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ لأنها في قُوَّة أن يقال: تركبونَ منها، على وجه الاستئناف لبيان الإجمال الذي في ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾، وعلى الاعتبارين فهي في حيز ما دخلت عليه لأم كي فمعناها: ولتأكلوا منها...

وإنما غير أسلوب التعليل تفنناً في الكلام وتنشيطاً للسامع لئلا يتكرر حرف التعليل تكراراتٍ كثيرة.^(٥) وهكذا نرى جمال الفاصلة القرآنية وأهميتها وعلاقتها بالآية، ومناسبتها في المكان المخصص لها، وذلك في بلاغة عالية وأسلوب بديع يمتع العقل والروح معاً لمن يتدبر ويتذوق.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/٢١٥).

المبحث الثاني

توجيه المعنى في مشكلات الفواصل

لاحظ علماء المناسبة أن كثيراً من الفواصل في الآيات تهىء لفاصلة بعينها، وينقاد لها المعنى، ولكن سرعان ما تجد الآية قد ختمت بغيرها فلا تبدو صلتها بما قبلها ظاهرة، وخرج نظم الكلام لأجل ذلك؛ فوقفوا عليها وحاولوا الكشف عن وجه المناسبة بين الفاصلة القرآنية وبين ما قبلها، فدرسوها وبينوا أسرارها وصلتها بما قبلها. يقول الزركشي في هذا المعنى: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تتردد متأكد جداً ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع".^(١)

وقد أطلق السيوطي على هذا النوع من الفواصل (مشكلات الفواصل)، فالفاصلة القرآنية هي إحدى صور الإعجاز البياني في القرآن، في تتاسقه مع آياتها، ولها دور كبير في إتمام المعنى وإيصاله على نحو معجز بديع بحيث لو استبدلت الفاصلة بغيرها في النص القرآني لا تؤدي المعنى والإيقاع معاً.

ومن مشكلات الفواصل في سورة غافر:

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨)﴾ [غافر: ٧-٨] لقائل أن يقول: إن في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ﴾ إشارة إلى المغفرة والرحمة، فكيف ختم هذه الدعوة إلى المغفرة والرحمة بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؟. يقول صاحب (نزهة المجالس): "فإن الذي يظهر عند أول النظر (الغفور الرحيم) بدل من (العزیز الحكيم) هنا أبلغ من الغفور الرحيم لأن صفة المغفرة والرحمة تشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة لكل محتاج، والعزة والحكمة لا يوجبان ذلك، بل يوجب كونه عزيزاً أن يفعل ما يشاء وأن يكون متعالياً

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٩١/١).

عن جميع جهات الاستحقاق، فإذا حكم بالمغفرة كان الكرم هنا أتم من الوصف بالمغفرة والرحمة".^(٢)

ويعلل الرازي مناسبة الختم بصفتي العزة والحكمة فيقول: "وإنما ذكروا في دعائهم هذين الوصفين لأنه لو لم يكن عزيزاً بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع المطلوب منه، ولو لم يكن حكيماً لما حصل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة".^(٣) فالعزيز، الملك الذي لا يغلب، فبعزته سبحانه لا يفعل شيئاً إلا بداعي الحكمة فيغفر ذنوبهم، ويوصلهم بها إلى كل خير، (الحكيم) الذي يضع الأشياء مواضعها. فمن موجبات حكمته تعالى، التي اقتضاها فضله، المغفرة للمؤمنين.^(١)

ويقول ابن عاشور: "وجملة (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) اعتراض بين الدعوات استقصاء للرغبة في الإجابة بداعي محبة الملائكة لأهل الصلاح لما بين نفوسهم والنفوس الملكية من التناسب. واقتران هذه الجملة بحرف التأكيد للاهتمام بها. و(إِنَّ) في مثل هذا المقام تُغني غناء فاء السببية، أي فعزتُك وحكمتُك هما اللتان جَرَّأتَنَا على سؤال ذلك من جلالك، فالعزة تقتضي الاستغناء عن الانتفاع بالأشياء النفيسة فلما وعد الصالحين الجنة لم يكن لله ﷻ ما يرضه بذلك فلا يصدر منه مطل، والحكمة تقتضي معاملة المحسن بالإحسان".^(٢)

كما أنّ (العزیز الحكيم) تتناسب مع آيات المقطع اللاحق [١٠-٢٠] حيث يبين الله ﷻ وظيفة حملة العرش من الملائكة، أهل الضلال والكفر يوم القيامة وهم في النار يتلظون سعيها وهذا يتناسب مع صفة العزة لله -تعالى-، كذلك ذكر يوم القيامة وإظهار أنوار العدل فيها يتناسب مع صفة الحكمة له سبحانه والله ﷻ أعلم. كما أنّ (العزیز الحكيم) هذه الفاصلة لها علاقة مع مقصود السورة الذي هو: الصراع بين الحق والباطل^(٣)

(١) عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني

(دار المحبة، دار آية، بيروت، دمشق، ٢٠٠١/٢٠٠٢)، (٨٩/١).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (مج٤ ج١٤/٢٧-٣٣-٣٤).

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف (٤١٧/٣)، أبو يوسف محمد زايد، فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن،

الشاملة (٣٩٥/١).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج٩ ج٢٤/٩٣).

(٥) انظر: سيد قطب، الظلال (٣٠٦٥/٥).

وتصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين، وتوفية كل صنف ما يستحقه على سبيل العدل^(٤) فإله له العزة الكاملة فهو سبحانه العزيز الحكيم.

والخلاصة في ختم الآية السابقة بـ(العزيز الحكيم) هي أن القرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على إعجاز بياني، فهي من جهة المناسبة تتوافق مع مضمون الآية، وعلاقتها بالمقطع وبمقصود السورة أيضاً، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة، وقد جاء ختم الآية باقتران الاسمين (العزيز الحكيم) على لسان الملائكة الكرام في دعائهم لربهم تعظيماً وإجلالاً، فذكر (العزيز) إشعاراً بقدرة الله - سبحانه-، وذكر (الحكيم) تفاعلاً لتحقيق الخير من الله سبحانه وتعالى، لن يفعل بذريته إلا ما هو خير.

- وقوله تعالى: ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ [غافر: ٤٢]؛ لقاتل أن يقول إنه لما قال تعالى: ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾، اقتضى النظم القرآني أن يكون على نفس النسق الذي يقتضيه النظم الكلامي فيقول بعد هذا: (وأنا أدعوكم إلى الله) فكيف جاء بالصفيتين (العزيز الغفار)؟ وقد ربط الرازي بين الفاصلة والمقطع بكلام لطيف حيث يقول في تفسيره: "لما بين - مؤمن آل فرعون - أنهم يدعونه إلى الكفر والشرك بين أنه يدعوهم إلى الإيمان بالعزيز الغفار فقوله (العزيز) إشارة إلى كونه كامل القدرة، وفيه تنبيه على أن الإله هو الذي يكون كامل القدرة، وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون إلهاً؟!... وقوله (الغفار) إشارة إلى أنه لا يجب أن يكونوا آيسين من رحمة الله ﷻ بسبب إصرارهم على الكفر مدة مديدة، فإن إله العالم - وإن كان عزيزاً لا يغلب - قادر لا يغالب، لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة".^(١)

ويعلل صاحب تفسير (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) مناسبة الختم بصفتي العزة والمغفرة قائلاً: "وجه تخصيص العزيز الغفار بالمقام أنه غالب على من أشرك به غفور لمن تاب عن كفره".^(٢) ويقول ابن عاشور: عدل عن اسم الجلالة إلى الصفتين (العزيز

(١) انظر: البقاعي، مساعد النظر (٤/٤٣٥)

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (مج ١٤ ج ٢٧/٦٢).

(٣) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق:

الشيخ زكريا عميران (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م)، (٦/٣٧).

الْغَفَّارِ) لإدماج الاستدلال على استحقاقه الإفراد بالإلهية والعبادة، بوصفه (الْعَزِيزِ) لأنه لا تتأله الناس، بخلاف أصنامهم فإنها ذليلة توضع على الأرض ويلتصق بها القتام وتلوثها الطيور بذرقها، وإدماج ترغيبهم في الإقلاع عن الشرك بأن الموحد بالإلهية يغفر لهم ما سلف من شركهم حتى لا ييأسوا من عفوهِ بعد أن أساءوا".^(٣) بالإضافة إلى هذه المعاني يأتي ختم الآية بهاتين الصفتين لرعاية الفاصلة حيث توافق أواخر الآيات مع السجع البديع، والبيان الرائع الذي يهز أعماق النفس الإنسانية.^(٤)

والخلاصة، فقد كان في عدول الفاصلة عن اسم الجلالة إلى ذكر صفاته العظيمة الأثر في جلاء وتوضيح المعنى، لذلك فقد جاء النظم القرآني على تلك الصورة الرائعة التي جمعت بين تناسب إيقاع الآيات، وبين مناسبتها وملاءمتها لمعنى الآية، فشتان بين دعوة ودعوة؛ فدعوته لهم واضحة مستقيمة، فهو يدعوهم إلى العزيز الغفار، يدعوهم إلى إله واحد هذه صفاته تشهد آثاره بوحدانيته في الوجود، وتتنطق بدائع صنعته بقدرته وتقديره، يدعوهم إليه ليغفر لهم وهو القادر على أن يغفر، الذي تفضل بالغفران، فكان وصفه الله ﷻ بالعزة ترهيباً لهم، ووصفه بالمغفرة ترغيباً لهم، وهم يدعوهم إلى الكفر بالله ﷻ.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/١٥٤).

(٢) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير (فقهى وتحليلي) (دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ١٤١٨ هـ)، (٢٤/١٢٦).

المبحث الثالث

توجيه المعنى عند اختلاف الفواصل والمحدث عنه واحد

يتم البحث هنا عن اختلاف الفواصل القرآنية في آيات متماثلة، وهو ما يسمى عند الزركشي بـ "اختلاف الفاصلتين في موضع، والمحدث عنه واحد".^(٥) ويتم هنا بيان مناسبة الفاصلة لمقاطع الكلام المتشابه في السياقات المختلفة، لنصل إلى العلاقات المعنوية التي تخرج لها الفاصلة في مقاطع الكلام، يقول د. تمام حسان: "ولقد تتوالى الفواصل في آيات متتابعة ومعناها مع تواليها واحد أو متشابه. وإنما توالت على رغم وحدة المعنى لغرض لولاه لاجزأت عن التوالي فاصلة واحدة".^(١)

أولاً: اختلاف فاصلة الآية في السورة الواحدة:

- في قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن نَّبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]، ختم الآية الأولى بقوله: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، وختم الآية الثانية بقوله: ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ وذلك أن كل كلمة مناسبة للسياق الذي وردت فيه، ويجيب شيخ الإسلام، بدر الدين بن جماعة عن ذلك فيقول: "لما قال تعالى في الأولى: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ ناسب ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ولما قال تعالى في الثانية: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ ناسب ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾".^(٢)

ففي الآية الأولى تكلم تعالى بلسان مؤمن آل فرعون: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ، وختم حديثه بذلك وقد كان يتحدث قبلها عن موسى بما يفهم منه أنه ليس بمصدق له؛ ليشير إلى علو شأن موسى ﷺ عن طريق الرمز والتعريض، وأن من

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١/٨٦).

(٢) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن (١/٢٠٠).

(٣) شيخ الإسلام، بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني (دار الوفاء، المنصورة،

ط١، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م)، (ص ٣٢٠).

اصطفاه الله للنبوّة لا يمكن أن يقع منه إسراف ولا كذب، وفيه تعريض بفرعون دقيق أيضاً، بكذبه وطغيانه، إذ هو غاية الإسراف على نفسه بقتل أبناء المؤمنين، وفي غاية الكذب، إذ ادّعى الإلهية والربوبية، ومن هذا شأنه لا يهديه الله. وهذا من أسرار إعجاز القرآن. (٣) كذلك في الآية الثانية قوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ أي مثل إضلال الله ﷻ إياكم، أي حين لم تقبلوا من يوسف، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾: يعينهم، إذ هم المسرفون المرتابون في رسالات الأنبياء (٤)، ولما كان السياق للشك في الرسالة والقول بالظن الذي يلزم منه اتهام القادر سبحانه بالعجز أو مجانبة الحكمة قال: (مرتاب) أي يشك فيما لا يقبل الشك ويتم غيره بما لا حظّ للتهمة فيه؛ أي: ديدنه التذبذب في الأمور الدينية، فلا يكاد يحقق أمراً من الأمور، ولا إسراف ولا ارتياب أعظم من حال المشرك فإنه منع الحق أهله وبذله لمن لا يستحقه بوجه. (٥)

- وفي قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]. لسائل أن يسأل عن المواضع الثلاثة التي جاء فيها (لا يعلمون) وجاء فيها (لا يؤمنون) وجاء فيها (لا يشكرون)، وعمّا يخصّ كلّاً بمكانه، وهل كان يجوز وضع أحدهما موضع قرينه أم كل آية اقتضت ما ختمت به؟ والجواب أن يقال: إنَّ مَنْ أقر بخلق السموات والأرض وأنكر الإعادة والبعث ثم نبّه على أن يعلم أنّ من قدر على الأكبر قادر على الأصغر، وهذا موضع يفتقر إلى العلم الذي نفاه عن من لم يقرّ به فقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فاخصّ هذا الموضع بنفي العلم، والعلم هو المحتاج إليه والمبعوث عليه. وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩] فمن أنكر البعث فهو محتاج إلى الإيمان به بعد علمه بأن

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (مج ٤: ج ٥٢/٢٧)، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير

البحر المحيط (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م)، (٤٢٢/٧).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (٤٤٥/٧).

(٣) البقاعي، نظم الدرر (٥١٣/٦).

القادر على خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم. وأما الآية الأخيرة فقوله: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ بِكَ فَضْلٌ عَلَيْهِ فَهُوَ محتاج إلى أن يؤدي حقه بالشكر، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يقابلون نعمة الله عليهم بما يستديمها لهم من الشكر الذي يربطها لديهم، فقد بان أن كل ما ختمت به آية هو في مكانه اللائق به، ولا يقتضي سواه.^(١)

وخلاصة ذلك: "أن المخاطبين ممن عقلوا لو نظروا واعتبروا لعلموا، ولو علموا لآمنوا، ولو آمنوا واستوضحوا النعم لشكروا".^(٢) فقد ختم كل آية بما اقتضاه السياق، وعلق ابن عاشور على ذلك بقوله: "وَقَدْ عَلِمْتَ مِمَّا تَقَدَّمَ وَجَهَ اخْتِلَافِ الْمُنْفِيَّاتِ... فَقَدْ أَتْبَعَ كُلَّ غَرَضٍ أُرِيدَ إِثْبَاتُهُ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَ مَنْكِرِهِ".^(٣)

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨]. وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]. ختم الآية الأولى بقوله: ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾، وختم الآية الثانية بقوله: ﴿الْكَافِرُونَ﴾ وذلك أن كل كلمة مناسبة للسياق الذي وردت فيه. فالأولى وردت في سياق الحق ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾، ونقيض الحق الباطل. والثانية في سياق الإيمان، ونقيض الإيمان الكفر.^(٤) تلك هي آيات الله ﷻ فيها من التنغن في العبارة والتنويع في البيان ما فيها، فقد أخذت كل لفظة مكانها المرسوم، رسمها مربّي النفوس ومزكيها، ومنور العقول وهاديها، ومرشد الأرواح وحاديها.

(١) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل (١١٣٢/١-١١٣٤)، وانظر: محمود بن حمزة الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (دار الفضيلة)، (ص ٢٢٠)، بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص ٣٢٢).

(٢) أحمد بن إبراهيم بن الزبير النقي الغرناطي، ملك التأويل القاطع بنوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل (دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٣، ١٩٨٣ م)، (١٠٠٠/٢).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج ٩ ج ٢٤/١٨٦).

ثانياً: اختلاف فواصل الآي بين السور:

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقوله أيضاً: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، في حين قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

فقد جاء بالاستعاذة من الشيطان الذي نعلمه ولا نراه بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٣٦]، وجاء فيمن يرى ويبصر من شياطين الإنس بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٥٦] وهذا يدل على دقة وجمال هذا التعبير، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم: "وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ: ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ في الأعراف وفصلت وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالإبصار بلفظ: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾... لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرى بالبصر ويُدرك بالرؤية والله ﷻ أعلم". (١)

- وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

للسائل أن يسأل فيقول: لأي معنى جاء في الآية من سورة الأعراف ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ على لفظ النكرة، وفي سورة فصلت معرفتين بالألف واللام مؤكدتين بـ (هو)؟

(١) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم — ابن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف شيخ إبراهيم رمضان (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠ هـ)، (ص٦٤٨).

والجواب أن يقال: إن الأول وقع في فاصلة ما قبلها من الفواصل أفعال جماعة، وأسماء مأخوذة من الأفعال نحو قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].
وبعده ﴿يُخْلِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، و﴿يُنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٢]، ﴿لَا يُنصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، و﴿الجاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الأسماء المؤدية معنى الفعل، أعني النكرة، وكان المعنى: استعذ بالله ﷻ إنه يسمع استعاذك، ويعلم استجارتك.

والتي في سورة (فصلت) قبلها فواصل سلك بها طريق الأسماء، وهي ما في قوله تعالى: ﴿اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

فقوله: ﴿وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ليس من الأسماء التي يراد بها الأفعال، وكذلك قوله: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ليس ذو حظ بمعنى فعل، فأخرج ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] بعد الفواصل التي هي على سنن الأسماء على لفظ يبعد عن اللفظ الذي يؤدي معنى الفعل، فكأنه قال: إنه هو الذي لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم، فليس القصد الإخبار عن الفعل، كما كان في الأولى: إنه يسمع الدعاء، ويعلم الإخلاص، فهذا فرق ما بين المكانين.^(١)

واعتبر الكرمانى أن السبب في ذلك يرجع إلى أن قوله في سورة (فصلت): ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦] متصلة بقوله: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] فكان مؤكداً بالتكرار وبالنفى والإثبات فبالغ في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بزيادة هو وبالألِف واللام، ولم يكن في (الأعراف) هذا النوع من الاتصال فأتى على القياس المخبر عنه معرفة والخبر نكرة فقال: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.^(٢)

بينما علل ذلك بدر الدين بن جماعة، بأن آية الأعراف نزلت أولاً، وآية السجدة نزلت ثانياً، فحسن التعريف في سورة فصلت.^(٣)

(١) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل (٢/٦٨٧-٦٨٨).

(٢) الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن (ص ٢٢٢).

(٣) بدر الدين بن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني (١٨٩).

- وقوله في سورة غافر: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، وفي سورة يونس قال تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠].

ففي سورة (غافر) تكرر ذكر الناس في قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، في حين أنه في سورة (يونس) عدل عن الاسم الظاهر وجاء بالضمير بدلاً منه فقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، فإن سأل سائل عن ذلك؟ فالجواب المجمع والله أعلم: أن في (غافر) أظهر لفظ (الناس) وكرره عند ذِكْرِ عَدَمِ الشُّكْرِ كَمَا ذُكِرَ عِنْدَ التَّفَضُّلِ عَلَيْهِمْ فَنَاسِبَ إِظْهَارِهِ هُنَا لِلْمَشَاكَلَةِ فِي الْأَفْظَاءِ، وَلَيْسَجَلْ عَلَيْهِمُ الْكُفْرَانَ بِوَجْهِ أَصْرَحَ. وفي (يونس): أضم الناس وكرر ضمائرهم قبل ذلك فناسب إضمارهم للمشكلة.^(٤)

وتفصيل ذلك: أن آية غافر لما تقدمها قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، ومقصود هذه الآية تحريك الخلق للاعتبار والتذكير بما نصب سبحانه من الدلائل والآيات، فاقتضى ذلك تكرار الظاهر كما في آية التذكير والتنبيه، ثم جيء بعد هذا بقوله: "إن الله لذو فضل على الناس" فنوسب بين هذا وبين ما تقدم لتجيء هذه الآية على منهاج واحد من التذكير، فاقتضت الثانية تكرير الظاهر.

وأما آية يونس فإنما تقدمها تأنييس بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبَدَّلَكَ فَلْيَفْرَحُوا...﴾ [يونس: ٥٨]، ثم رجع الكلام إلى تعنيف الكفار في تحكيمهم فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ...﴾ [يونس: ٥٩] ثم قال: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس: ٦٠] ولم يتقدم تكرير يطلب بمناسبة، فلذلك ورد الكلام على ما هو الأصل من الإتيان بالضمير ليحصل به ربط الكلام، فجاء كل من الموضوعين على ما يقتضيه ما قبله رعياً لتناسب الكلام.^(١) ويذكر الزمخشري سبب تكرار الناس في سورة (غافر) قائلاً: "في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم، وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ﷻ ولا يشكرونه، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾".^(٢)

(١) انظر: ابن جماعة، كشف المعاني (٣٢٣)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨٦/٢٤).

(٢) ابن الزبير، ملاك التأويل (١/٦٢٤-٦٢٥).

(٣) الزمخشري، الكشاف (٣/٤٣٤).

ولعل هذه الدراسة السابقة توضح لنا ما قصده ابن مسعود من قوله: "إذا وقعتُ في آلِ حم، وقعتُ في روضاتِ دَمِثَاتٍ^(٢)، أتَأَنَّقُ^(٤) فيهنَّ".^(٥) فشبه حسن الروضات بحسن سور آل حم. ولعله قال ذلك من أجل الفصاحة والبلاغة ودقّة النظم، ومن أجل أوزان الكلمات، والفواصل في أواخر الآيات، كذلك من أجل تنوع المعاني فيها، والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ.
 وصدق من قال: "إنّ القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، أخذ بعضه بركاب بعض في سوره وآياته وجمله، ويجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جملة وآياته، وجاء آخره مساوفاً لأوله."^(٦)

-
- (١) والروضات، هي البقاع التي تكون فيها صنوف النبات من رياحين البادية وغير ذلك، ويكون فيها أنواع البذور والزهر. والدمثات، من اللبونة والسهولة. انظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر (دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م)، (٩٤/٤).
- (٢) وأتأنق، أعجب بهن، وأستلذ قراءتهن، وأتتبع محاسنهن. انظر المرجع السابق نفس الصفحة.
- (٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد الله بن مسعود (٥٥٨/١٥) رقم (٣٠٩١٥) بإسناد صحيح.
- (٤) الزرقاني، الشيخ محمد عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م) (٥٤/١).

خاتمة البحث

وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وهي:

- ١- الفاصلة القرآنية من الناحية البلاغية أقرب إلى مفهوم القافية في الشعر، والسجع في النثر من جهة تشابه الحروف أو تقاربها في المخرج، ولكنها تختلف عنهما من جهة المقصد والمرجعية.
- ٢- استعمل القرآن في فواصل سورة (غافر) حروفاً ذات وقع نغمي ووضوح سمعي لتظهر للسمع حين الوقف، فحرف النون الذي هو من أهم حروف الترتم في العربية يفوز بأكبر نصيب في فواصل سورة غافر، وكانت باقي الحروف تنطق من الجزء الأمامي لجهاز النطق، مما سبب سهولة النطق والوضوح السمعي.
- ٣- إن عنصر الإيقاع والتنغيم يقصد إليه في القرآن قصداً، وليس مجرد محسنات زخرفية.
- ٤- تنوع نظام الفواصل والقوافي في الآيات القرآنية يؤدي إلى أهداف مقصودة لله تعالى.
- ٥- القرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على إعجاز بياني، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة، ومن جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية.
- ٦- الناظر في الآيات القرآنية يجد التلاحم والتناسب في الآية الواحدة بين فواصلها ومضمونها، وهذا من دقيق المناسبة في النص، فوضع المبتدأ موضع الخبر، والمفعول موضع الفعل والفاعل، وخبر كان من الجار والمجرور موضع اسمها، وغيرها من الأساليب يشعر ببلاغة فواصل القرآن الكريم والحكمة منها.
- ٧- للفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة في كثير من آيات القرآن، وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخير من عناصر الجملة.
- ٨- لا نُسلم بكلام العلماء الذين يعتبرون أن التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية إنما هو لمراعاة الحسن في نظم الكلام فقط، بل له فوائد أخرى إضافة إلى ذلك منها: الاهتمام، الاختصاص، الحصر، زيادة وتوضيح معنى، وغيره من الأغراض الكثيرة.

- ٩- قد يتقدم الخبر على المبتدأ، والمفعول على الفعل والفاعل، والجار والمجرور على عامله في الفاصلة القرآنية، ومع ذلك نجد أن كل لفظة تأتي متوافقة ومتناسقة في السياق بحيث لا يصلح مكانها غيرها. وقد تأتي الفاصلة على غير المعهود لها كأن تأتي مذكرة مع أن أصلها أن تكون مؤنثة، أو يحذف حرف منها، أو زيادة حرف أو غيره ومع ذلك تأتي الفاصلة القرآنية مناسبة جدًا لسياق الآية الموجودة فيها متناسقة في موقعها التي جاءت فيه.
- ١٠- للمناسبة أثر في توجيه المعنى في الآية الواحدة من خلال توجيه العدول عن الأصل في الفاصلة سواء بالتقديم والتأخير، أو الحذف والزيادة، أو في الجنس، أو في بنية الجملة.
- ١١- للمناسبة دور كبير في بيان المعنى فيما يسمى بـ(مشكلات الفواصل)، وبيان التعلق بين مقطع الآية وفاصلتها، فقد تهىء كثيرًا من الفواصل في الآيات في بعض الأحيان لفاصلة بعينها، وينقاد لها المعنى، ولكن سرعان ما تجد الآية قد ختمت بغيرها -خلافًا للمتوقع- فلا تبدو صلتها بما قبلها ظاهرة، فإذا تمعن المتلقي لهذا النص القرآني وجد أن هذه المخالفة جاءت لمناسبة بلاغية تُضفي على الآية جمالًا وإيضاحًا في المعنى وفي اللفظ.
- ١٢- للمناسبة دور في بيان المعنى في الآيات التي تتحد في السياق وتختلف في الفاصلة، سواء في السورة الواحدة أو السور المختلفة مما يظهر بلاغة ألفاظ القرآن الكريم، ويجدد نشاط المتلقي للنص القرآني.
- ١٣- دراسة فواصل سورة (غافر) تمثل نموذجًا رائعًا في بيان أثر المناسبة في توجيه المعنى في الفاصلة القرآنية.

المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم مصطفى، أحمد الزييات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث مجمع اللغة العربية (ط٤)، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).
- ٢- ابن أبي الأصبع، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: د. حفي محمد شرف (مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)
- ٣- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مصنف بن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة (دار القبلة).
- ٤- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م).
- ٥- ابن الجزري. محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).
- ٦- ابن الزبير النقي، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملك التأويل القاطع بزوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل (دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣، ١٩٨٣م).
- ٧- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط (دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ).
- ٨- ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف شيخ إبراهيم رمضان (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ).
- ٩- ابن تغري، بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (وزارة الثقافة، مصر: سلسلة تراثنا، د. ت).
- ١٠- ابن جماعة، شيخ الإسلام، بدر الدين، كشف المعاني في المتشابه من المثاني (دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م).

- ١١- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).
- ١٢- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله، خزنة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو (دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧).
- ١٣- ابن حجر، العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد السيد الحق (مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٧م).
- ١٤- ابن سنان، الخفاجي الحلبي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، سر الفصاحة (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- ١٥- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، شرح إين عقيل
- ١٦- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر (دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م).
- ١٧- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ).
- ١٨- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (مصدر الكتاب: موقع التفاسير <http://www.altafsir.com>).
- ١٩- أبو العباس ثعلب، شرح ديوان الخنساء، قدم له وشرحه: د. فايز محمد (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ٢٠- أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصللي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م).
- ٢١- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).
- ٢٢- أبو طاهر بن سوار، المستنير، تعليق: جمال الدين محمد شرف (دار الصحابة للتراث، طنطا، مطابع البشير).
- ٢٣- أبو عمر عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، التحديد في الإتيان التجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد (جامعة بغداد، ط١٤٠٧هـ، ١٩٨٨م).
- ٢٤- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: سمير جاب (دار الفكر، بيروت، ط٢).

- ٢٥- الأوسى، أبو الفضل، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- ٢٦- الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر (دار المعارف - القاهرة).
- ٢٧- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريقي، إميل بديع اليقوب (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م).
- ٢٨- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق المهدي (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).
- ٢٩- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن، إبراهيم بن عمر البقاعي، الشافعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين (مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م).
- ٣٠- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م).
- ٣١- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- ٣٢- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاکر أبو فهر (مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م).
- ٣٣- الجمل، د. عبد الرحمن يوسف، المغني في علم التجويد برواية الإمام حفص عن عاصم (مكتبة آفاق، غزة، ط٣، ٢٠٠١م).
- ٣٤- حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن (عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م).
- ٣٥- الحسناوي، محمد، الفاصلة في القرآن، (دار الأصيل، حلب، ١٩٧٧م).
- ٣٦- الحموي، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الأزراي، خزنة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م).
- ٣٧- الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، درة التتزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى أيدين (جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).

- ٣٨- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط١٤١٤هـ، ١١هـ، ١٩٩٤ م).
- ٣٩- درويش، محيي الدين، إعراب القرآن وبيانه (دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية)، (دار اليمامة، دمشق، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ).
- ٤٠- الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد (الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٨هـ).
- ٤١- الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).
- ٤٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م).
- ٤٣- الرماني، أبو الحسن، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن رسالة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، (دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م).
- ٤٤- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة (مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)،
- ٤٥- زايد، أبو يوسف محمد، فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن (١٤٢٧هـ) المصدر: المكتبة الشاملة.
- ٤٦- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير (فقهية وتحليلية) (دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ١٤١٨هـ).
- ٤٧- الزرقاني، الشيخ محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٤٨- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م).

- ٤٩- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل
وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (دار الفكر).
- ٥٠- السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني (دار عمار، عمان، الأردن، ط٦،
١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).
- ٥١- السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (دار عمار، عمان،
ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).
- ٥٢- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، قدّم
له: محمد بن صالح العثيمين (دار البيان الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ،
٢٠٠٢م).
- ٥٣- السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تحقيق: د. أحمد محمد
الخرّاط (دار القلم، دمشق).
- ٥٤- سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد
هارون (دار الجيل، بيروت).
- ٥٥- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: د.
مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).
- ٥٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، لبنان، صيدا).
- ٥٧- السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو
الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، صيدا، بيروت).
- ٥٨- السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد
أبو الفضل إبراهيم (عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م).
- ٥٩- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في
إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مركز البحوث والدراسات (دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- ٦٠- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم
التفسير، (دار المعرفة، بيروت، لبنان).

- ٦١- صافي، محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن (دار الرشيد مؤسسة الإيمان، دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ).
- ٦٢- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م).
- ٦٣- الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني (دار المحبة، دار آية، بيروت، دمشق، ٢٠٠١، ٢٠٠٢).
- ٦٤- الطاهر، محمد ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بتفسير التحرير والتوير (دار سحنون للنشر، تونس، ١٩٩٧م).
- ٦٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).
- ٦٦- عتر، أ. د. نور الدين، أثر المناسبات في كشف إعجاز القرآن الكريم، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد الثالث عشر، ١٩٩٦م).
- ٦٧- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م).
- ٦٨- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م).
- ٦٩- الكرمانى، محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا (دار الفضيلة).
- ٧٠- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٨٨، الأعداد (٨١ - ١٠٢).
- ٧١- المراغي، أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع" (دار الكتب العلمية، بيروت).

- ٧٢- مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي، مراجعة: د. عبد اللطيف محمد الخطيب (التراث العربي، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).
- ٧٣- الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (مكة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).
- ٧٤- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميران (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م).